حادثة خروج النار بأرض الحجاز سنة 654هـ/1256م

دراسة حديثية تاريخية وعلمية

achieving the news of prophet, may god' s prayers and peace be upon him about the accident of the flute leaving in the land of Hejaz in the years 654ah/1256ad.

علامي شهيرة[1]

طالبة دكتوراه المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

Chahiraallami4325@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/06/23 القبول 2022/01/30 النشر على الخط 2022/04/15
Received 23/06/2020 Accepted 30/01/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

سنتحدث في هذا الموضوع عن النار التي خرجت بأرض الحجاز سنة654هـ/1256م قرب المدينة المنورة والتي تعد من أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى، أخبر بخروجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريباً، وقد أسهب العلماء والمؤرخين المسلمين الذين عايشوا هذا الحدث في وصف تفاصيله بدقة، ومن خلال هذا الوصف ظهر مدى الهول الذي أحدثته هذه النار في نفوس سكان المدينة من هلع و خوف جعلهم يلجأون إلى مولاهم سبحانه وتعالى بالدعاء والاستغفار، والابتعاد عن المعاصي، وقد تلى هذه الحادثة أهم حدث في تاريخ المسلمين وهو سقوط بغداد عاصمة العباسيين سنة 656هـ/1258م على أيدي التتار والمغول.

الكلمات المفتاحية: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أشراط الساعة، أرض الحجاز، المدينة المنورة، الشام، حادثة النار، تحقيق الرواية، آراء المؤرخين.

Summary:

we will talk about this subject about the fire that came out in the Hejaz in year 654ah /1256ad near medina, which is one of the sings of the hour and its minor sings l tell the prophet, may god bless him and grant him peace ,almost six hundred and fifty years before its appearance ,and Muslim historians who lived through this event dwell on this event in the accurately described his details, and through this description, the extent of the horror caused by this fire appeared in the souls of the city' s residents, from panic and fear that made them resort to their glorified and exalted followers by praying ,seeking forgiveness and avoiding sins, and promised from among the verses that were foretaste event in the history of Muslims ,which is the fall of Baghdad as the year 656ah/1258ad at the hands of the Tatars and Mongols.

key words :hadith of the messenger of god ,peace and blessings be upon him the sings of thee hour, medina, the Levant, the fulfillment of the novel, the opinions of historians.

[1] – المؤلف المراسل: علامي شهيرة البريد الإلكتروني: **Chahiraallami4325@gmail.com**

مقدّمة:

نظرا لأهمية اليوم الآخر وأثره العظيم على الإنسان في الدنيا والآخرة، حيث يعد من جملة الغيب الذي أمرنا الله تعالى الإيمان به والإكثار من ذكره، والتصديق الجازم بوقوعه، فكثرت وتنوعت الأدلة من القرآن والسنة بوجود هذا اليوم، وليس المقصود هنا التوسع في ذلك ، وإنما غرضنا بيان و ربط أهمية هذا اليوم الغيبي بأمور محسوسة تسمى علامات و أشراط الساعة التي سماها الله تعالى في كتابه بهذا الاسم، فقال سبحانه:" فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾"(سورة محمد: الآية: 18) ، وإذا كان الله عز وجل قد جعل وقت قيام الساعة مجهول، فقد أخبر سبحانه وتعالى ببعض العلامات والآيات التي تظهر ويراها الناس بأعينهم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فهي تُذَكر الناس بأن هناك يوما ينتظرهم يجب الإيمان به، كما أنها توقظهم من غفلتهم وانغماسهم في متاع الدنيا وغرورها، فيقول عز وجل في كتابه ردا على المنكرين لليوم الآخر: "زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ "(سورة التغابن: الآية:7)، ، وأشراط الساعة كبرى وصغرى، فأما الكبرى فتعني العلامات والآيات التي تكون قريبةً من الساعة، بحيث إذا حدثت فإنَّ يوم القيامة قريبٌ جداً، والصغرى فهي ما دلَّ الدليل على أَنَّهُ مِنْ علامات قُرْبْ الساعة وليس من العشر آيات التي جاءت في الحديث[1]

أنها تكون بين يدي الساعة، وقد حصلت هذه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تزال تحصل إلى بَدْءِ الأشراط الكبرى[2].

ومن الأخبار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثبت التاريخ والعلم الحديث وقوعها ـ والتي تعد من أشراط الساعة الصغرى ـإخباره صلى الله عليه وسلم بخروج نار من أرض الحجاز، فما هي حيثيات وتفاصيل هذه الحادثة؟ ومن هم المؤرخون الذين وثقوا لها؟ و ما أثرها في نفوس من عاصرها؟ وما هي التفسيرات العلمية الحديثة التي قدمها العلماء لهذه الظاهرة؟.

تفاصيل الرواية وآراء العلماء فيها: روى البخاري(ت256هـ/870م)[3] ومسلم(ت261هـ/875م)[4] في صحيحهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ[1] تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ[2] بِبُصْرَى[3]، وهذا حديث متفق على صحته.

---

[1] **صحيح مسلم**، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم2901، ج4، ص2225، **سنن الترمذي** ، تح أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د ت ن)، باب ما جاء في الخسف، حديث رقم2183، ج4، ص447، **سنن ابن ماجه**، تح وتع محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،(د ت ن)، باب الآيات، حديث رقم4055، ج2، ص1347.

[2] صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، **شرح العقيدة الطحاوية**، دروس شرحها في مدينة الرياض، 1417هـ/، ص690-692.

[3] **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تح مصطفى ديب البغا،ط3، دار ابن كثير، بيروت،1407هـ/1987م: - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال سعيد بن المسيب أخبرني أبو هريرة...الحديث، باب خروج النار، حديث رقم6701، ج6، ص2605.

[4] باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، حديث رقم 2902، ج4، ص2227.

وقد جعلها القاضي عياض حاشرة قال:" ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس قال أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز هذا كلام القاضي[4]"(أي أنه جعلها من العلامات الكبرى لأنه لم يعايش هذه الحادثة بوفاته سنة544هـ/1149م والحادثة كانت سنة 654هـ/1256م.

وعلق الإمام النووي(ت676هـ/1277م) على قول القاضي قائلا:" وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة جدا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة[5] تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان"[6].

كما علق ابن حجر(ت852هـ/1449م) على هذه الحادثة بعد التطرق إليها فذكر الحديث السابق الذكر ثم أقوال العلماء الذين سيأتي ذكر أقوالهم(أبو شامة ت665هـ/1267م والقرطبي ت671هـ/1273م)، وبعدها قال:" والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي فقام في أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك..."[7].

---

[1] الحجاز: حجز بين نجد وتهامة تضم : مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، الطائف، ، خيبر وفدك وتبوك و داربلي، دار أشجع و ودار مزَينة، ودار جهينة، ونفر من هوازن، وجُلُّ هلال، طبيعتها جبلية تكثر بها الحرات البركانية، تخترقها أودية، أعلى قممها 2700م، للمزيد ينظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت،(د ت ن)، ج2، ص218-220، شوقي أبو خليل، **أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح**، ط4، دار الفكر، دمشق، 1426هـ/2005م، ص136.

[2] قال ابن حجر في **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**،ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ/1959م، ج13، ص80:" قوله تضيء أعناق الإبل ببصرى قال بن التين يعني من آخرها يبلغ ضوؤها إلى الإبل التي تكون ببصرى وهي من أرض الشام وأضاء يجيء لازما ومتعديا يقال أضاءت النار واضاءت النار غيرها".

[3] بالضم ، من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا ، كانت عاصمة دينية وتجارية هامة عبر العصور وقد مر بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، وفيها دارت قصته المشهورة مع الراهب بحيرا، وهي الآن في منتصف المسافة بين عمان ودمشق على بعد 985 كم، وتبعد عن دمشق مسافة 141كم إلى الجنوب، كما يبلغ عدد سكانها أكثر من 5000 شخص، وهي تتبع محافظة درعا السورية التي تبعد عن مدينتها حوال 40كم،وترتفع عن سطح البحر بحوالي850مترا، للمزيد ينظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص441، سليمان عبد الله المقداد، بصرى، ط2، مطبعة الترقي، دمشق،(د ت ن)، ص25، شوقي أبو خليل، **أطلس الحديث النبوي**، ص68، مها عبد الرحمن أحمد نتو، **خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى**، بحث مقدم إلى الهيئة العالمية للمؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنّة، ص1429هـ/2008م، ص2، موقع:.https//ar.m.wikipedia

[4] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت،ج10، 1407هـ / 1987م، ج18، ص28.

[5] الحَرَّةُ : أرض ذاتُ حِجارة سُودٍ نَخِرة كأنَّما أُحرِقَتْ بالنار وجمعه حِرار وإحَرِّين وحَرّات، أما جغرافيا: فهي عبارة عن مقذوفات بركانية ، تغطي أجزاء متفرقة بجوار المرتفعات العربية ، ويتراوح ارتفاعها بين 1100-1300 متر، وقد تكونت خلال الزمن الثالث نتيجة حركات أرضية عنيفة نتج عنها انبثاق الطفوح البركانية ، وتغطي صخور الحرات مساحة واسعة من الأراضي السعودية تزيد على 4 % من مساحة المملكة ، ونظراً لوعورة تضاريس هذه الحرات فإن مراكز التواطيء البشري لا تظهر إلا عند أطرافها في شكل مدن وقرى وواحات زراعية ؛ حيث دلت الدراسات الجيولوجية على وفرة المياه تحت تكويناتها ، ومن أشهر مراكزها العمرانية : المدينة المنورة وخيبر ، أما أجزاؤها الداخلية فغير مطروقة غالباً ؛ لوعورة سطحها، الفراهيدي، **العين**، تح مهدى المخزومي وابراهيم السامرئي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران،1409هـ/1988م، ج3، ص24، محمد أحمد الرويثي ، **الشخصية الجغرافية للملكة العربية السعودية**، ط4، مكتبة التوبة، المدينة المنورة، 1421هـ/2000م، ص65-67، وتلتقي الحرات السعودية بصهارة الأرض على أعماق من 5 إلى 10 كيلومترات ، ويبدأ مؤشر حدوث بركان عندما يرتفع مستوى الصهارة إلى عمق كيلومتر أو نصف كيلومتر، مها عبد الرحمن أحمد نتو، **خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى**، ص2.

[6] **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج18، ص28، 30.

[7] **فتح الباري**، ج13، ص79-80.

توثيق العلماء والمؤرخين لحادثة خروج النار والتعقيب على آرائهم: من العلماء والمؤرخين الذين وثقوا هذه الحادثة وأسهبوا في وصف تفاصيلها وآثارها نجد: الإمام الحافظ والمؤرخ شهاب الدين أبو شامة(ت665هـ/1267م) في كتابه المسمى "**الذيل على الروضتين(تراجم القرنين السادس والسابع)**[1]:" فذكر أنه وردت على دمشق عدة كتب من سكان المدينة بخروج نار عندهم يوم الخامس من جمادى الآخرة سنة 654هـ/1256م، و أن هذه الكتب كتبت في خامس رجب والنار مازالت على حالها مشتعلة ـ أي مدة شهر من ظهورها، كما ذكر أنه تأخر أيضا وصول هذه الكتب إلى دمشق مدة تفوق الشهر أي في العاشر من شعبان، وأنه أخبره أحد معارفه ممن يثق به والذي شاهدها بالمدينة بلغه أنه كتب بتيماء[2] على ضوئها الكتب ، كما أخبره أنه من شدة قوة هذه النار كان يخيل وكأن في كل دار منهم سراجا ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وإنما كانت آية من آيات الله تعالى[3].

وقد أورد خمسة كتب متواترة عن أهل المدينة إلى أهل دمشق فيها شرح مفصل لهذا الحدث العظيم منها: كيفية ظهور هذه النار شرقي المدينة من ناحية وادي شظا[4]، تلقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها، وأنهم سمعوا أصوات مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أول ذلك مستهل الشهر يوم الاثنين ، فلم تزل ليلا ونهارا حتى ظهرت يوم الجمعة فانبجست تلك الأرض عند وادي شظا عن نار عظيمة جدا، وقد سال من هذه النار واد طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف، وهذا هو عبارة عن جبال صغار يسير على الأرض مكون من صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك[5]، ثم يصير كالفحم الأسود، و قبل الخمود لونه أحمر[6].

وفيما يلي اخترنا سرد مضمون أحد الكتب التي ذكرها أبو شامة(ت665هـ/1267م) الذي قال أنه ورد من بعض بني الفاشاني بالمدينة وفيه بيان عن تزامن حادثتي غرق بغداد و اشتعال النار بأرض الحجاز يقول فيه:" وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفح الماء من أعلى أسوار بغداد إليها، وغرق كثير منها، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا، وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير بل تلف كله، وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد، وتخترق أزقة بغداد[7].

---

[1] تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، 1394هـ/1974م، ص190-193.

[2] بالفتح والمد بلاد من أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق ،كان يقال لها تيماء اليهودي وقال ابن الأزهري المتيم المضلل، لأنها يضل فيها، قال ابن الأعرابي أرض واسعة وقال الأصمعي التيماء الأرض التي لا ماء فيها ولا نحو ذلك، وتيماء اليوم بالمملكة العربية السعودية شمال المدينة المنورة على نحو420كم، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص67، شوقي أبو خليل، **أطلس الحديث النبوي**، ص96.

[3] أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص190.

[4] وهو جبل بمكة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 3، ص345.

[5] الآنُك هو الرّصاص، ينظر ابن سيده ، **المخصص في اللغة**، تح خليل إبراهم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/ 1997م/1996م، ج3، ص297.

[6] أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص191، ابن كثير، **البداية والنهاية**، تح عبد اله بن عبد المحسن التركي مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الرياض،1417هـ/1997م، ج9، كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلية، ص298، ج17، حوادث 654هـ، ص328-348، ج19، الفتن والملاحم، ص26-28

[7] أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص192.

قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم: لما كان بتاريخ ليلة الاربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين، عاد الناس يسمعون صوتا مثل صوت الرعد، فانزعج لها الناس كلهم، وانتبهوا من مراقدهم وضج الناس بالاستغفار إلى الله تعالى، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح، وذلك اليوم كله يوم الاربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة، وصبح يوم الجمعة ارتجت الارض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم، وأشفق الناس من ذنوبهم، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الارض، فارتاع لها الناس روعة عظيمة، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الابيض، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤوسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل، وخرج النساء من البيوت والصبيان، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله[1].

وغطت حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر، وبقيت السماء كالعلقة، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب، وبات الناس تلك الليلة بين مصل وتال للقرآن وراكع وساجد، وداع إلى الله عز وجل، ومتنصل من ذنوبه ومستغفر وتائب، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيبها، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده، وعلى غيرنا، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهابا، وهي كالجبل العظيم و كالمدينة العظيمة ارتفاعاً وعرضاً، تخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد، وبقيت كذلك أياما، ثم سالت سيلانا في وادي أجيلين تنحدر مع الوادي إلى الشظاة، حتى كادت تقارب حرة العريض، ثم سكنت ووقفت أياماً ، ثم عادت ترمي بحجارة خلفها وأمامها، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياما، ثم أنها عظمت الآن وسناها إلى الآن، وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة..."[2].

ونظرا لهول هذه الحادثة ختم أبو شامة وصفه لها بقوله: "و لها عجائب ما أقدر أن أشرحها...وإنما هذا طرف منها كبير يكفي"[3].

كما تطرق أبو شامة إلى وصف أحوال أهل المدينة في هذه الفترة ومدى تأثرهم بهذه الحادثة التي أرغمتهم إلى اللجوء إلى المسجد النبوي للصلاة فيه، والإقلاع عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات وترك المعاصي، ورد المظالم إلى أهلها وعتق المماليك والعبيد، واجتمع الناس عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم للاستغفار والاستغاثة[4]، وهذا هو حال البشر عند حدوث مصيبة ما ، ولكن بعد ذهابها يرجع الإنسان إلى المعاصي و اتباع شهوات الدنيا كما كان.

---

[1] المصدر نفسه، ص192.

[2] أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص192.

[3] المصدر نفسه، ص192.

[4] نفسه،ص191-192.

وطول فترة هذه الواقعة جعل بعضهم يَنْظُم فيها شعرا يناجي فيها سبحانه تعالى، ولطول هذه الأبيات نكتفي بذكر بعضها على سبيل الاستدلال: يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا رب بأساء

نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملا و نحن بها حقا أحقاء

فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت منا الذنوب وساء القلب أسواء

فاسمح وهب وتفضل وأمح واعف وجدوا صفح فكل لفرط الجهل خطاء[1]

وتطرق عالم آخر ممن عاصروا هذه الحادثة إلى وصف هولها وشدتها وهو الإمام والمفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي(ت671هـ/1273م) فيقول في كتابه **التذكرة**:"... فقد خرجت نار عظيمة ، و كان بدؤها زلزلة عظيمة ، و ذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة ، فسكنت و ظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة تحيط بها ترى في صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون من البلاد، عليها سور يحيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون و أبراج و مواذن، و يرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته و أذابته ، و يخرج من مجموع ذلك نهر أحمر و نهر أزرق له دوي كدوي الرعد ، يأخذ الصخور و الجبال بين يديه ، و ينتهي إلى الحرة محط الركب العراقي ، فاجتمع من ذلك ردم صارم كالجبل العظيم، و انتهت النار إلى قرب المدينة، و كان يلي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه و سلم نسيم بارد و يشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، و انتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها . قال لي بعض أصحابنا : و لقد رأيتها صاعدة في الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة[2] .

قلت : و سمعت أنها رئيت من مكة و من جبال بصرى..."[3].

أما الإمام ابن تيمية(ت728هـ/1328م) فإنه لم يعاصر هذه الحادثة لكنه ذكرها كأحد الشواهد التي تثبت نبوته صلى الله عليه وسلم فقال فيها:" ...وهذه النار قد خرجت قبل مجيء أكثر الكفار إلى بغداد سنة خمس وخمسين[4] وستمائة وقد تواتر عن أهل بصرى أنهم رأوا ببصرى أعناق الإبل من ضوء تلك النار وخبر هذه النار مشهور متواتر بعد أن خرجت بجبال الحجاز وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم وفزع لها الناس فزعا شديدا، كما قال في موضع آخر أنها:"...كانت منذرة بما يكون بعدها ففي سنة ست وخمسين وستمائة دخل هولاكو ملك الكفار بغداد وقتل فيها مقتلة عظيمة"[5].

وابن تيمية هنا ذكر هذه الحادثة ردا على من يشكك في نبوته صلى الله عليه وسلم من النصارى واليهود، إضافة إلى مختلف الطوائف الضالة التي تحسب على الإسلام وهم الشيعة والصوفية و المنطقين(أصحاب المنطق الأرسطي الذين يمجدون العقل على

---

[1] نفسه، ص193.

[2] القرطبي، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تح الصادق بن محمد بن إبراهيم،ط1، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1425هـ/2004م، كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مج1، ص1236-1237.

[3] المصدر نفسه، مج1، ص1237.

[4] أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، تح عادل بن يوسف العزازي،ط1، دار الوطن للنشر، السعودية ،1419هـ/1998م، ج1، ص394.

[5] ابن تيمية، **الرد على المنطقيين**، دار المعرفة، بيروت،(د ت ن)، ص446، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تح علي حسن ناصر وآخرون، ط1، دار العاصمة، الرياض،1414هـ/1993م، ج3، ص161-160، ج6، ص88-89.

الدين منهم فرقة المعتزلة و بعض الفلاسفة)[1]، فبعد ذكره هذه الحادثة أضاف معلقا:"...فهل يدل قياس برهاني أو غير برهاني على هذا الأمر المعين ويخبر به المخبر قبل حدوثه بأكثر من ستمائة وخمسين سنة، فإن هذا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام النبوة وأبو هريرة(باعتباره راوي الحديث) إنما أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة وصحب النبي صلى الله عليه وسلم أقل من أربع سنين فأخباره كلها متأخرة"[2].

ومن المؤرخين أيضا الذين بسطوا القول في هذه الواقعة بالتفصيل الحافظ الكبير ابن كثير(ت774هـ/1373م) الذي بدوره ذكر الحديث الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه تفرد به البخاري، لكنه رجع في موضع آخر وقال ورواه مسلم ولعله سهو منه، كما ذكر رواية أبو نعيم(ت430هـ/1038م) التي فيها زيادة ونقصان قال عنها : وهي في مسند أحمد(ت241هـ/855م) بدون هذه الزيادة وهو الصواب، فإن هذه النار التي ذكر أبو نعيم هي النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر..."، لكن هذه الرواية التي رواها أبو نعيم في معرفة الصحابة ليست فيها الزيادة التي ذكرها ابن كثير وهي:" تضيء لها أعناق الإبل ببصرى"[3]، وفيها:" يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ (حُبْسِ سَيَلٍ) تَسِيرُ سَيْرَ بَطِيئَةِ الْإِبِلِ تَسِيرُ النَّهَارَ وَتُقِيمُ اللَّيْلَ تَغْدُو وَتَرُوحُ يُقَالُ غَدَتْ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ! فَاغْدُوا قَالَتْ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ! فَقِيلُوا رَاحَتْ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ! فَرُوحُوا مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ"[4].

وبهذا اللفظ تدل أن هذه النار التي ذكرت في هذه الرواية هي نفسها التي نحن بصدد الحديث عنها وليست النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر كما قال ابن كثير، ودلالة ذلك أن كلمتي "حُبْسُ سَيَلِ" حُبْس بالضم ثم السكون والسين مهملة، وسَيَل بفتح السين والياء هما حرتي بني سُليم بالمدينة بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين"[5].

والغريب أن ابن كثير(ت774هـ/1373م) في موضع آخر ذكر هذا الحديث وعلق عليه قائلا:" تفرد به أحمد، ورواه أبو نعيم في ترجمة بشر بن أبي رافع السَّلمي وفيه: تضيء لها أعناق الإبل ببصرى"[6]، فهذا خطأ لأن أبا نعيم لم يروه بهذه الزيادة كما سبق وأن ذكرنا ، أما قوله تفرد به أحمد فهذا خطأ آخر لا ندري كيف وقع فيه ابن كثير رغم جلالته في علم الحديث والتاريخ معا، فربما يكون وقف فريسة للسهو أو التعب اللذان يتعرض لهما أي إنسان مهما كانت درجته من العلم، لأنه ليس الإمام أحمد[7] فقط من روى هذه الرواية، وإنما رواها ابن أبي عاصم في كتابه **الآحاد والمثاني** ت287هـ/900م)[8] و أبو يعلى(ت307هـ/919م) في **مسنده**[9] ، وابن حبان(ت354هـ/965م) في **صحيحه**[1]، وابن منده(ت395هـ/1005م) في **معرفة**

---

[1] ينظر الكتابين المذكورين سابقا، الرد على المنطقيين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

[2] ابن تيمية، **الرد على المنطقيين**، ص446.

[3] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج19، ص26.

[4] ينظر أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج1، ص394.

[5] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2 ، ص213، ج3، ص299.

[6] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج19، ص331.

[7] قال عنها شعيب الأرنؤوط: أبو رافع بشر السلمي: تناقض فيه ابن حبان فأخرج حديثه في صحيحه وذكره في كتاب الثقات في قسم التابعين وقال : يروي المراسيل روى عنه ابنه نافع ابن بشير ومن زعم أن له صحبة فقد وهم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الحميد بن جعفر – وهو الأنصاري – مختلف فيه حسن الحديث، ينظر أحمد بن حنبل ،**المسند**، ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د ت ن)، حديث رقم 15696، ج3، ص443.

[8] تح باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، 1411هـ/1991م، حديث رقم1414، ج3، ص96.

[9] تح حسين سليم أسد،ط1،دار المأمون للتراث، دمشق،1404هـ/1984م، حديث رقم934، ج2، ص233.

معرفة الصحابة[2]، والحاكم(ت405هـ/1014م) في **مستدركه**[3]، كما أخرجها ابن الأثير(ت630هـ/1233م) في ترجمته الصحابي أبو رافع بشر(ويقال بشير وبسر) السلمي الذي ذكر الرواية كما هي موجودة عند أبي نعيم[4]، أما باللفظ الذي أورده ابن كثير فقد أخرجها الطبراني(ت360هـ/971م) في **معجمه** و ابن عبد البر(ت463هـ/1071م) في كتابه **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**[5]، فربما ابن كثير نقل هذا الحديث عن أحدهما، ولكن ما يدعو للاستغراب أن الحافظ الهيثمي(ت807هـ/1405م) أورد الحديث باللفظ الذي أخرجه أحمد وابن يعلى وابن أبي عاصم والحاكم وأبو نعيم وقال عنه: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة[6]، لكن كما قلنا فالطبراني رواه باللفظ الذي رواه ابن كثير وهذا مشكل، وحاصل كل ما قلنا أن الرواية التي أوردها ابن كثير قال عنها الألباني(ت1420هـ/1999م): ضعيفة ومرسلة[7]، لأن بشر يروي المراسيل وشك ابن حبان في صحبته وابنه رافع بن بشر مجهول الحال كما قال الذهبي[8].

كما ذكر ابن كثير(ت774هـ/1373م) رواية أخرى أخرجها أحمد(ت241هـ/855م) في مسنده وفيها: ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن حبيب بن حماز عن أبي ذر قال رسول الله صل الله عليه وسلم:"... ليت شِعْري، متى تخرج نار من اليمن من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل بروكاً ببصرى كضوء النهار"، وعلق ابن كثير على هذه الرواية بقوله:" وهذا الإسناد لا بأس به، وكأنه مما اشتبه على بعض الرواة، فإن النار التي تخرج من قعر عدن باليمن هي التي تسوق الناس في آخر الزمان إلى المحشر، وأما النار التي تضيء له أعناق الإبل فتلك تخرج من أرض المدينة النبوية، كما تقدم بيان ذلك"[9].

تعقيب وشرح لقول ابن كثير: ابن كثير هنا كان على حق فهذه النار ليست النار التي سبق وأن تكلمنا عليها وإنما هي التي تسوق الناس في آخر الزمان إلى أرض المحشر، أما قوله في إسناد الرواية لا بأس به فمن خلال تتبعنا لرواتها وجدنا أنهم ثقات وكل واحد روى عن الآخر، لكن هناك من رمي بأشياء وفيما يلي تفاصيل ذلك: 1-وهب بن جرير ابن حازم، بن زيد، بن عبد الله،

---

[1] تح شعيب الأرنؤوط،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/ 1993م، حديث رقم 6840، ج15، ص254.

[2] تح عامر حسن صبري، ط1، مطبوعات جامعة الامارات العربي المتحدة، الامارات،1426هـ/2005م، ج1، ص235.

[3] قال الذهبي في تعليقه على هذا الحديث: **رافع بن بشر السلمي مجهول، المستدرك على الصحيحين**، تح مصطفى عبد القادر عطا،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1411هـ/1990م، حديث رقم8367، ج4، 489،

[4] ابن الأثير، **أسد الغابة**، تح عادل أحمد الرفاعي،ط1،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م، ج1، ص277-278.

[5] **المعجم الكبير**، تح حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ/ 1983م، حديث رقم 2229، ج2، ص42، وينظر أيضا ابن عبد البر ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح علي محمد البجاوي،ط1،دار الجيل،بيروت،1412هـ/1991م، ج1، ص176.

[6] **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت،1412هـ/1992م، حديث رقم12601، ج8، ص24.

[7] الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط1، دار المعارف، الرياض،1412هـ/1992م، ج14، حديث رقم 6914، ص970.

[8] ينظر الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تعليق الذهبي على حديث رقم8367، ج4، ص489، **مسند أحمد** ، تعليق شعيب الأرناؤوط على حديث رقم 15696، ج3، ص443.

[9] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج19، ص27.

بن شجاع أبو العباس الأزدي البصري(ت206هـ/821م)، ، روى عن والده، وأكثر عنه أحمد في مسنده، قال ابن أبي حاتم: صدوق، صالح الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس، كما وثقه ابن معين، وقال فيه الذهبي: الحافظ الصدوق الإمام[1].

2-أما والده جرير بن حازم(170هـ/787م) فقيل فيه: ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه مات بعد ما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه[2].

3-أما شيخ جرير وهو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش(ت148هـ/765م) قيل فيه: ثقة حافظ عارف بالقراءات ، ورع ، لكنه يدلس، قال فيه الذهبي:
الحافظ ، أحد الأعلام[3].

4-عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجَمَلي المرادي الكوفي الأعمى(ت118هـ/736م): ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء[4].

5-كما قيل في عبد الله بن الحارث(لم تذكر المصادر تاريخ وفاته): ثبت وقال النسائي ثقة وذكره بن حبان في الثقات[5].

7-في حين الراوي حبيب بن جماز الذي ليس معروفا في الحديث كثيرا ترجمه البخاري(باسم حِمَان)[6] وابن أبي حاتم باسم(حِمَاز)، برواية سماك بن حرب عنه أيضاً، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في "الثقات[7]، وكذا العجلي فقال: "كوفي تابعي ثقة"[8].

8-وختام سلسلة السند هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفار(ت32هـ/652م) أَحَدُ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[9].

وقد أخرج هذا الخبر أيضا أحمد(ت241هـ/855م) في مسنده وقال فيها الأستاذ شعيب الأرناؤوط[10]: صحيح لغيره لكن بلفظ : " تخرج نار من الحجاز " وهذا إسناد ضعيف[11]، والبزار(ت(ت292هـ/905م) في مسنده وقال: وَهَذَا الْكَلامُ إِنَّمَا نَحْفَظُهُ ، عَنْ أَبِي

---

[1] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط 9 ، مؤسسة الرسالة ، 1413هـ/1993م، ج9، ص442-445.

[2] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1، ص158.

[3] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تح زكريا عميرات،ط1،دارالكتب العلمية ،لبنان ،1419هـ/1998م، ج1، ص116، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، 1404هـ/1984م، ج4، ص195-196.

[4] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ج1، ص745.

[5] المصدر نفسه، ج5، ص159.

[6] **التاريخ الكبير**، مراجعة هاشم الندوي،ط1،دار الفكر،(دم ن)، 1407هـ/ 1986م، ج2، ص155.

[7] تح شرف الدين أحمد ،ط1،دار الفكر،(دم ن)، 1395هـ/1975م، ج4، ص140.

[8] العجلي، **معرفة الثقات**، تح عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1405هـ/ 1985م، ج1، ص281، وللمزيد ينظر ترجمته، ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج6، 232، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها**، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1422هـ/2002م، م7، ق1، ص11.

[9] الكلاباذي، **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، تح عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ/1986، ج1، ص146-147، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص46-78.

[10] باعتبار أن أحاديث المسند مذيلة بأحكامه عليها.

[11] حديث رقم 21327، ج5، ص144.

ذَرٍّ بِهَذَا الإِسْنَادِ ، وَلاَ نَعْلَمُ لأَبِي ذَرٍّ طَرِيقًا غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَلاَ نَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَ بْنَ جَمَّازٍ رَوَى عَنْهُ غَيْرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ وَلاَ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ[1]، و قال الدار قطني في علله:" يَرويهِ عَمرو بن مُرَّة ، عَن عَبدِ الله بنِ الحارِثِ ، عَن حَبِيبِ بنِ جُمازٍ ، عَن أَبِي ذَرٍّ، وَخالَفَهُ أَبُو خالِدٍ الأَحمَرُ ، فَرَواهُ عَنِ الأَعمَشِ ، وعَمرُو بن قَيسٍ ، عَن عَمرِو بنِ مُرَّة ، عَن رَجُلٍ لَم يُسَمِّهِ ، عَن أَبِي ذَرّ، وَجَرِيرُ بن حازِمٍ ضَبَط إِسنادَهُ ، وأَتَى بِالصَّوابِ[2]، وقال الهيثمي(ت807هـ/1405م):" رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح الصحيح غير حبيب بن حبان وهو ثقة"[3]، أما الألباني(ت1420هـ/1999م) فقال عن إسناده: وهذا إسناد جيد في نقدي، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم؛ غير حبيب بن جماز، ترجمه البخاري وابن أبي حاتم برواية سماك بن حرب عنه أيضاً، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في "الثقات، وكذا العجلي فقال: "كوفي تابعي ثقة"[4].

هذا بالنسبة لتحقيق الأحاديث التي أوردها ابن كثير حول تنبئه صلى الله عليه وسلم عن حدوث هذه النار، أما بالنسبة لتفاصيل وقوعها فقد ذكر أن أهل التاريخ وغيرهم من الناس تواتروا على وقوع هذا الحدث[5]، واستند إلى ما أورده أبو شامة في كتابه الذيل على الروضتين، فذكر كلامه باختصار في موضع، وفي موضع آخر تطرق له بالتفصيل[6].

كما ذكر أن قاضي القضاة بدمشق صدر الدين على بن أبي القاسم الحنفي الذي كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثنتي عشرة سنة أخبره عن والده وهو الشيخ صفي الدين مدرس بصرى ،أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد ببصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز[7].

ومن الأشياء التي تفرد ابن كثير حول هذه الحادثة هو استناده أيضا إلى قول مؤرخ آخر وهو تاج الدين ابن الساعي(ت674هـ/1275م) الذي رغم أنه كان بعيدا عن موقع النار كونه بغدادي لكن عمله كخازن كتب بالمدرسة المستنصرين جعله قريبا من رجال السلطة آنذاك الذين وردت إليهم من المدينة كتب جعلته يطلع على تفاصيلها كأنه شاهد عيان على ذلك، فذكر ابن كثير سرده لهذه الحادثة فقال:" وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وستمائة: في يوم الجمعة ثامن عشر رجب – يعني من هذه السنة – كنت جالسا بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة قاصد يعرف بقيماز العلوي الحسني المدني، فناوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف النبوي، وسمع صرير الحديد، وتحركت السلاسل، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة، وكانت ترمي بشرر كأنه رؤوس الجبال، ودامت خمسة عشر يوما، قال القاصد: وجئت ولم تنقطع بعد، بل كانت على

[1] حديث رقم 4030، ج2، ص100.
[2] الدار قطني، **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، تح محفوظ الرحمن زين الله، ط1، دار طيبة، الرياض، 1405هـ/ 1985م، ج6، ص238.
[3] الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، حديث رقم 12600، ج8، ص24.
[4] الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها**، م7، ق1، ص11.
[5] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج9،ص297، ج19، ص26-27،
[6] المصدر نفسه، ج9، ص297-300، ج19، ص26-28، ج17، ص328-338.
[7] نفسه، ج9، ص298-299، ج17، ص338-339، ج19، ص28.

حالها، وسأله إلى أي الجهات ترمي ؟ فقال: إلى جهة الشرق، واجتزت عليها أنا ونجابة اليمن ورمينا فيها سعفة فلم تحرقها، بل كانت تحرق الحجارة وتذيبها، وأخرج قيماز المذكور شيئا من الصخر المحترق وهو كالفحم لونا وخفة[1].

قال: وذكر في الكتاب وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤوسهم واستغفروا وأن نائب المدينة أعتق جميع مماليكه، وخرج من جميع المظالم، ولم يزالوا مستغفرين متضرعين حتى سكنت الزلزلة، إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع، وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوما وإلى الآن[2].

قال ابن الساعي(ت674هـ/1275م): وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يقول: إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة، فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الموت، وتدارك أمره بإصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت، وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبت، وهي تأكل بعضها بعضا إن لم تجد ما تأكله، وهي تحرق الحجارة وتذيبها، حتى تعود كالطين المبلول، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذي يخرج من الكير، فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين، بمحمد وآله الطاهرين[3].

ذكر ظاهرتي كسوف الشمس وخسوف القمر: ومن الأخبار التي أضيفت حول هذه الحادثة هو اجتماع ظاهرتي كسوف الشمس و خسوف القمر في هذه الفترة وهذه الحادثة وربط حدوث هاتين الظاهرتين الطبيعيتين وتأثيرها في الأرض من موت عظيم أو حادث كبير، وهذا الخبر ذكره أبو شامة في أحداث سنة 654هـ/1256م وفي نفس الفترة التي جرت الحادثة السالفة الذكر فقال:" وفيها . أي سنة 654هـ/1256م ـ ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم انجلى وكسفت الشمس في غده احمرت وقت طلوعها وقريب غروبها وبقيت كذلك أياما متغيرة اللون ضعيفة النور والله تعالى على كل شيء قدير، واتضح بذلك ما صوره الشافعي من اجتماع الكسوف والعبد واستبعده أهل النجامة(أي المنجمين أو ما يسمى حاليا بعلماء الفلك) كما قال بعد سرده لمضمون أحد الكتب التي وردت إلى دمشق حول حادثة النار التي سبق ذكرها:"... وكتب الكتاب يوم الخميس من رجب وهي على حالها(النار)، والناس منها خائفون، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما تطلعان ‘لا كاسفين فنسأل الله العافية، وقال أيضا: بان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورهما على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إلى أن جاءنا الخبر عن هذه النار...". ثم عاد أبو شامة في موضع آخر وكأنه يشبه احمرار وتذبذب ضوء الشمس والقمر بحدوث ظاهرة الكسوف فقال:"...والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن..." [4].

تعقيب الذهبي(ت748هـ/1348م) على قول المؤرخ أبو شامة: نلاحظ هنا تذبذب في موقف أبو شامة(ت665هـ/1267م) حول حقيقة حدوث هذه الظاهرة من عدمها، فتارة يقول أنهما منكسفان، وتارة يقول كأنهما وهذا تشبيه لهذه الظاهرة فقط وليس تأكيد لحدوثها، وهذا ما جعل المؤرخ الكبير الذهبي(ت748هـ/1348م) يقف عند كلامه هذا ويتعرض له بالنقد ويبين حقيقة ما حدث فعلا، فوافقه على ما رواه حول النار بقوله:" أمر هذه النار متواتر، وهي مما أخبر به

[1] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج17، ص339- 340.
[2] المصدر نفسه، ج17، ص340.
[3] نفسه، ج17، ص340.
[4] أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص189-190، 192-193.

المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بِبُصْرى. وقد حكى غير واحد ممن كان بِبُصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها"[1].

لكنه عارض قوله حول كسوف الشمس بقوله:" هذا الكلام فيه ما فيه، وقوله كُسفت الشمس في العبدة دعوى ما علمت أحدا وافقه عليها ولا ورخها غيره. ثم بين مستنده باحمرار الشمس وضعف نورها، وهذا لا يسمى كسوفا أبدا. ولقد كنت في رحلتي إلى الإسكندرية وأنا في المركب أنظر إلى الشمس قبل غروبها بساعة، وهي كأنها نحاسة حمراء ما لها من النور شيء أصلا إلى أن تتوارى. وذلك لكثافة الأبخرة الأرضية. ومثل هذا إذا وقع لا تُصلَّى له صلاة الكسوف. والنبي صلى الله عليه وسلم لم نسمعه سمى ذلك كسوفا في وصف ليلة القدر بالآية التي ميزها بها فقال: إن الشمس تطلع من صبيحتها ولا شعاع لها. وأما كسوف الشمس والقمر فشيء ظاهر يبدو قليلاً في القُرْص إلى أن يذهب نورهما ولونهما، وتظهر الكواكب بالنهار. وقد يكون كسوفا ناقصا فيبقى شطر من الشمس كاسفا، وشطر نيّراً. وأما حساب أهل الهيئة لذلك فشيء ما علمته يحرم أبدا، وهو عندهم حساب قطعي، ومن نظر في مستندهم جزم به، بخلاف قولهم في تأثير الكسوف في الأرض من موت عظيم، أو حادث كبير، فإن هذا من الإفك والزور والهذيان الذي لا يحل لمسلم أن يعتقده. وذلك التأثير عند المنجمين ظن وحدس، والظن الكذب... الحديث، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان يخوف الله بهما عباده"[2].

وعندما نتمعن في كلام الذهبي(748هـ/1348م) نجده دقيقا وفي الصميم، فهذا الخبر لم يذكره من المؤرخين الذين أرخوا لهذه الحادثة غير أبو شامة، وكما ذكرنا سابقا فإن ذكره لظاهرة الكسوف ليست بمصطلح التأكيد المطلق، وإنما على حسب ما فهمناه أنه شبه احمرار القمر والشمس نتيجة كثرة النار التي تصاعد دخانها الكثيف في السماء وتحوله إلى بخار وهذا ما انعكس لونه على القمر والشمس اللذين يتأثران بكل ما يتصاعد من الأرض، وهذا ما أكده الذهبي، أما ربط حدوث تأثير هذه الظاهرة في الأرض بموت عظيم للبشر أو حادث عظيم فهذا ليس بأمر علمي ليُستند إليه، وإنما هو حدس وظن وهذا ما حذر منه ديننا الحنيف في القرآن والسنة، فقال تعالى:"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ "(الحجرات: الآية: 12)، وقوله صلى الله عليه وسلم:" إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم كسوفا فاذكروا الله حتى ينجليا"[3].

هذا بالنسبة لتفاصيل الحادثة من الناحية التاريخية، أما من الناحية العلمية فمن الواضح والمؤكد من وصف المؤرخين للنار أنها في الأصل بركان، فقد أثبت علماء الجيولوجيا و المختصين في علوم الأرض أن المدينة المنورة تقع بالقرب من منطقة بركانية تسمى حرة رهط تقع بين المدينة المنورة شمالا ووادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوبا لتغطي مساحة تقدر بحوالي20.000 كيلو متر مربع، وفي حرة رهط يوجد أكثر من700 فوهة بركانية، هذه الأخيرة واحدة من بين 12 حقلا بركانيا ينتشر في المملكة العربية

[1] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1347م) ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1408هـ/1987م، ج48، ص22.

[2] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج48، ص22.

[3] أخرجه مسلم في **صحيحه**، باب صلاة الكسوف، حديث رقم، 901، ج2، ص617-618.

السعودية، وتحوي وحدها سبعمائة مخروط بركاني، ويعد الجزء الشمالي من أكثر أجزاء تلك الحرة نشاطا والذي يقع إلى الجنوب من المدينة المنورة مباشرة بسبب أكثر من 13ثورة بركانية شهدها وتدفق للحمم خلال5000 سنة الماضية(بما يوازي ثورة بركانية كل 400عام منها: ثورة بركان رهط سنة 21هـ/644م التي سبقها عدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة، أما الثورة البركانية الثانية والتي حدثت كما سبق و أن أشرنا إلى ذلك سنة 654هـ/1256م والتي نقلنا تفاصيلها في هذه الدراسة كما وصفها معاصروها فثوران البركان أدى إلى تدفق تيار من الحمم حجمها0.5 كم من ست أقماعscoria متراصة، وتدفقت لمسافة 23كم حتى وصلت إلى مسافة 4كم من المدينة المنورة و التي شكلت 6 مخاريط بركانية جديدة، وسبقها هي الأخرى عدد من الهزات الأرضية القوية إلى جانب أصوات الانفجارات الشديدة(ينظر وصف القرطبي لهذه الحادثة[1])، وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة المختصة في دراسة الظواهر الأرضية في العلاقة الوطيدة بين الزلازل والبراكين، حيث تسبق الظاهرة الأولى و تاليها الثانية– أي البراكين[2].

من خلال ما سبق توصلنا إلى عدة نتائج نجملها فيما يلي:

–أن التّحديث بأشراط الساعة الصغرى والكبرى وذِكْرُهَا مما يُقَوِّي اليقين و الإيمان وهو من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ـ أن خبر هذه النار التي تواتر العلماء على حدوثها يعد من الأخبار العظيمة لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم أخبر بخروجها قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريباً.

– أن العلماء في روايتهم للحديث المتعلق بهذه النار وقع لهم خلط في بعض الألفاظ واختلفت آراؤهم حول هذه النار السالفة الذكر والتي خرجت في أرض المدينة، والنار التي ينتظر وقوعها وهي التي تسوق الناس في آخر الزمان إلى المحشر.

–أنه نشأ من بعد هذه النار نار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم حتى أنها أذابت العمد التي عليها، فوقعت ولم يبق غير السور واقفا، ثم تلى هذه النيران بعدها بسنتين فقط وقوع أهم حدث في تاريخ المسلمين وهو سقوط بغداد عاصمة العباسيين سنة 656هـ/1258م وما فعله المغول والتتار في تلك الفترة من فضائع وجرائم ضد المسلمين جعل الخوف والكرب ينتشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي[3].

– تشير الدراسات العلمية التي أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التي كونت حرة رهط المشارة إليها سابقا، قد بدأت منذ عشرات ملايين السنين على الأقل، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التي تخللتها فترات من الهدوء النسبي[4].

–كما أنه إضافة نتيجة أخرى وهي أنه بعد رسم خريطة الحرارة الأرضية في العالم تبين أن أعلى قدر من الحرارة الأرضية كانت تحت الحجاز، وخاصة تحت حرة خيبر التي سجلت وقوع سنة 460 هـ (1057م) وسنة 654 هـ (1256م) زلزالين كبيرين ، وقد

[1] ص7 من هذا البحث، وينظر موقع: https://quran-m.com

[2] للمزيد عن حيثيات هذه النار(أي نار الحجاز) و تبعاتها ، وتفسيرات علماء الجيولوجيا لهذه الظاهرة ينظر مها عبد الرحمن أحمد نتو، **خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى**.

[3] القرطبي، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، م1، ص1236–1237، أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، ص194، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج17، ص340–341.

[4] مها عبد الرحمن أحمد نتو، **خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى**، ص13.

سبقت الزلزال الأخير كما سبق وأن ذكرنا أصوات انفجارات عالية ، تلتها ثورة بركانية كبيرة ، وصاحبتها هزات أرضية استمرت بمعدل عشر هزات يوميًا لمدة خمسة إلى ستة أيام قدرت شدة أكبرها بحوالي خمسة درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر ، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عددًا من المخاريط البركانية ، ورفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب، ولا تزال تلك المخاريط تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التي توحي بأن الصهارات الصخرية تحت المخروط البركاني لا تزال نشطة ، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله[1].

قائمة المصادر والمراجع:

1-القرآن الكريم.

أ-المصادر:

2- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1233م)، أسد الغابة، تح عادل أحمد الرفاعي،ط1،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م.

3- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله بن أبى الحسن(ت256هـ/870م)، التاريخ الكبير، مر هاشم الندوي،ط1،دار الفكر،(دم ن)، 1407هـ/ 1986م.

4- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح مصطفى ديب البغا،ط3، دار ابن كثير، بيروت ،1407هـ/1987م.

5- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى، أبو عيسى(ت279هـ/892م)، سنن الترمذي، تح أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د ت ن).

6-ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1328م)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تح علي حسن ناصر وآخرون، ط1، دار العاصمة، الرياض،1414هـ/1993م.

7- الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت،(د ت ن).

8- الحاكم مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَمْدُوَيْه(ت405هـ/1014م) ، المستدرك على الصحيحين، تح مصطفى عبد القادر عطا،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1411هـ/1990م.

9- ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد ابى حاتم التميمي البستى (ت354هـ/965م)، الثقات، تح شرف الدين أحمد ،ط1،دار الفكر،(دم ن)، 1395هـ/1975م.

10- صحيح ابن حبان، تح شعيب الأرنؤوط،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/ 1993م.

11- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت852هـ/1449م)، تقريب التهذيب، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.

12- تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، 1404هـ/1984م.

[1] المرجع نفسه، ص13.

13- فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ/1959م.
14- الحميري جمال الدين عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة(ت947هـ/1540م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط2، دار السراج، بيروت، 1980م.
15- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني(ت241هـ/855م)،المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د ت ن).
16- الدار قطني أبو الحسن علي بن عمر(ت385هـ/995م)، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تح محفوظ الرحمن زين الله، ط1، دار طيبة، الرياض، 1405هـ/ 1985م.
17- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1408هـ/1987م.
18- تذكرة الحفاظ، تح زكريا عميرات،ط1،دارالكتب العلمية ،لبنان ،1419هـ/1998م.
19- سير أعلام النبلاء، تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط 9 ، مؤسسة الرسالة ، 1413هـ/1993م.
20- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
21- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي(ت458هـ/1066م)، المخصص في اللغة، تح خليل إبراهم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/ 1996م.
22- أبو شامة شهاب الدين(ت665هـ/): الذيل على الروضتين(تراجم القرنين السادس والسابع)، تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، 1974م.
23- ابن أبي عاصم أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني(ت287هـ/900م)، الآحاد والمثاني، تح باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، 1411هـ/1991م.
24- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت463هـ/1071م) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح علي محمد البجاوي،ط1،دار الجيل،بيروت،1412هـ/1991م.
25- العجلي أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي(ت261هـ/875م)، **معرفة الثقات**، تح عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1405هـ/ 1985م.
26- الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م)، تح مهدى المخزومي وابراهيم السامرئي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران،1409هـ/1988م.
27-القرطبي(ت671هـ/)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح الصادق بن محمد بن إبراهيم،ط1، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1425هـ/.

28- ابن كثير اسماعيل بن عمر أو الفداء(ت774هـ/1373م)، تح عبد اله بن عبد المحسن التركي مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الرياض،1417هـ/1997م.

29- الكلاباذي أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري(ت398هـ/1008م)، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تح عبد الله الليثي،ط1،دار المعرفة، بيروت، 1407هـ/1986م.

30- ابن ماجة محمد بن يزيد الربعي القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه(ت273هـ/887م)، تح وتع محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(دم ن)،(د ت ن).

31- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، أبو الحسين النيسابوري(ت261هـ/875م)، الصحيح، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت،1374هـ/1954م.

32- ابن منده أبي عبد الله محمد بن اسحاق بن يحي الأصبهاني(ت395هـ/1005م)، معرفة الصحابة، تح عامر حسن صبري، ط1، مطبوعات جامعة الامارات العربي المتحدة، الامارات،1426هـ/2005م.

33- أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، تح عادل بن يوسف العزازي،ط1، دار الوطن للنشر، السعودية ،1419هـ/1998م.

34- النووي يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، أبو زكريا محي الدين(ت676هـ/1277م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت،ج10، 1407هـ / 1987 م.

35- الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان(ت807هـ/1405م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت،1412هـ/1992م.

36- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت،(د ت ن).

37- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي(ت307هـ)، المسند، تح حسين سليم أسد،ط1،دار المأمون للتراث، دمشق،1404هـ/1984م.

ب-المراجع:

1- الألباني محمد ناصر الدين(ت1420هـ/1999م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،ط1، دار المعارف، الرياض،1412هـ/1992م.

2- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1422هـ/2002م.

3-شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر، دمشق، 1426هـ/2005م.

4- صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية، دروس شرحها في مدينة الرياض، 1417هـ/1996م.

5- محمد أحمد الرويثي ، ط4، الشخصية الجغرافية للملكة العربية السعودية، مكتبة التوبة، المدينة المنورة، 1421هـ/2000م.

5- مها عبد الرحمن أحمد نتو، خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى، بحث مقدم إلى الهيئة العالمية للمؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنّة، ص1429هـ/2008م.